

## توجيه الفرد والجمعة

— ٣ —

بقلم : ابو سنان هادي المصاوي

### الجمعة الجامعة

ان الوحدة التي نقصدها في هذا الفصل ونبحث عنها ، لم تكن إلا الوحدة الجنسية - وبعبارة اجلي - الوحدة العراقية ، اما الوحدة المزيفة التي لاكتها افواه قوم ، وطبل لها آخرون ، فهي من جرائم الفتك التي دنتها سياسة الاستعمار ، لتقضي على الشرق بكامله ، متقدمة من العرب والاسلام ، والحرب الصليبية ما اثارها الا روح الانتقام من العرب ، غير ان تمسك العرب بدينهم ، رد كيد الغرب الى نحره ، وظلت تلك الروح تغلج في صدور الصليبيين ، حتى اذا بعدت الشقة بين العرب ودينهم ، ونبدوا تعاليمه ، تلاشت قوى الاسلام ، واذا ذلك اخذوا يدسون سموم السياسة من طريق العنصريات مرة ، والطائفيات اخرى ، ففتت في عضد العرب والاسلام .

ثم وجدوا لهم خير ساعد على ذلك ؛ هو تطبيل قوم كانت علاقتهم بالروح العربي علاقة الفيل من ولد الانسان ، وزمر بذلك الاسم آخرون ، ليعيشوا في ظله الوارف ، فتثالوا على العراق من حذب بعيد ، كان جل ما يحمل جلهم من الثقافة المالية ، هو التشديق بالقومية العربية في كل درس في اي علم كان ؛ فكان كلمة ( القومية العربية ) كلي طبيعي ( كالحيوان ) فكما ان الحيوان كلي له مصاديق كثيرة ، اي يشمل كل الحيوانات على اختلاف انواعها ؛ فكذلك ( القومية العربية ) فهي علم الجغرافية ، والكيمياء ، والفيزياء ، والعلوم عامتها ؛ فن كلمة القومية العربية يستخرج الاكسجين ؛ وحامض الكربون ، ومنها يستخلص اهم المعادن والسوائل ، كما وان منها تؤخذ الموازين ؛ والمقاييس ، وتعرف بواسطتها خطوط الطول والعرض ، والاعداد الى غير ذلك من انواع العلوم . لا ينكر ان القومية العربية بما هي من اهم العوامل

٣٣

لتحقيق احلام الامة العربية ، وامانيها ، والمعول الهدام لما تشيده سياسة الغرب لاستغلال حيوية البلاد واقتصادياتها ، واليد المحطمة لسلاسل الاستعمار ، والامة التي لم يجر فيها دم قوميتها غير صالحة للحياة - وبتقريب آخر - ان الروح عندما يحل في الانسان ، يبعث فيه الحياة بكل معانيها ، غير ان شعوره بضروب الحياة المعنوية التي تكسبه مكانة عالية في طبقات الهيئة الاجتماعية وشوقه الى سد نقصه بها ، لا يحصل الا ضمن نظام معين ، واذا جرد الروح من البدن صار كالخجر الى جنب ذي الحياة ، وليست القومية الا كالروح لجسم الامة ، فهي تبعث الحياة في جسمها ، واذا انتزعت من هذا الجسم صارت كالخجر الضغير الى جنب الامم الحية ، تتلافها كما تلعب الغلمان بالاكبر .

واذا اردنا ان نقارن بين القومية الاسلامية التي استعمرت العالم عدة قرون ، واذهلت الامم بقوة مفعولها ، وبين القومية العربية اليوم التي جزأت المملكة الاسلامية ، وضيفت دائرة البلاد العربية ، نرى الفوارق ظاهرة .

فان القومية الاسلامية هي نفس القومية العربية ، لامن الاسلام من العرب مبداء ، والهم منتهى ؛ غير ان الاولى اوسع دائرة من الثانية ، والذي يدل على ذلك ان قادة الرأي العربي ، واقطاب سياسة المملكة الاسلامية وملوكها ، لم يكونوا الا من رجالات الامة العربية ، فهم استعمروا العالم باسم الاسلام وبكتابهم المجيد ، والاسلام دين العرب ولو ارادوا ان يعتصموا باسم القومية العربية ، لتقلص نفوذهم ، واصبحوا آكلة سائفة بافواه الامم الاجنبية ، فهم وان اعتصموا بالقومية الاسلامية ، ولكنها هي نفس القومية العربية ، وهذا هو الذي كتب لهم خلود الذكر .

أدرك العرب ان الامة العربية لا زالت متمسكة بتلك القومية ، لا يستطيع ان يستعمرها وبذلها ، كما استعمرته زمناً ، فعات مفسداً في الجزيرة العربية بسموم سياسته ، والفتح فيها نار الفرق بما وضعه على ألسنة سماسرته ، ومن ذلك القومية العربية ، فصيرها فرقا ، وجزأها ائماً ، وقد ضربت سماسرته باوقافها ، وتبعهم على ذلك الرطاع ولم يدروا بما اذا

يريد الغرب من وراء ذلك ؟ فإنه أراد أن يبلغ بعيد آماله  
وأمانيه من الشرق العربي ، ولن يبلغه إلا بثبات الإسلام .  
كانت صفاته بدأ هدامة لدعائم الإسلام ، ولصروح  
القومية العربية ، وإن صدقوا بها ، ولو كانوا عرباً كما يزعمون  
لما خانوا أمتهم وبلادهم ، ولما نفكوا دم العروبة العالي غير  
مرة ابتغاء مرضاة معبودهم ، وليس لهم من معبود سوى  
أطباعهم وشهواتهم ، وإلا لصدقوا فيما يدعون ، ولا حفظوا  
بدم العروبة الزاكي ، ولكن صدق دعواهم بآثامهم على الذود  
عن حريم العروبة من أن يستباح ، ولكن ماشأئهم والقومية  
العربية إلا شأن ( الكتاب الجيد ) في بيت صريوني ، طاش  
في ظل الإسلام ، وتنعم بنعيمه ، وهو يبعث الغوائل .

\* \* \*

إن الشعب الذي يتكون من العناصر الأجنبية ، بتعذر  
إيجاد وحدة شاملة فيه ، ولا سيما إذا كان ولاية اسره في غير المستوى  
الذي ظنه الشعب فيهم ؛ وكانت سياستهم شخصية بحيث  
يستغلون ثروة البلاد لمصالحهم ، أما مصالح الشعب فلا تعار  
أقل اهتماماً ، كما كانت الحال هذه في ( بولونيا ) فإن تجنس  
العناصر الأجنبية بجنسيتها سهل تمزيقها واجتياحها بأسبوعين .  
فالعراق إذا أراد أن يعيش كأمة حية ، تستطيع أن تصافح  
جاراتها بيد من الحديد ، وتقبل يد العدو بقم من نار ، يجب  
أن يكون له وحدة شاملة بين سكانه ، بأن يكونوا عراقيين  
دماءً ولغةً ، دون أن يفتح باب التجنس لعناصر أخرى ، وأن  
اتصل بعضها فيه بالدم واللغة ، ولكن الدم لم يكن عرقياً ، ثم  
أنه يباينها في التقاليد والعادات ، فإن فساد الاخلاق ما تسرب  
الى العراق إلا من هذا البعض الذي اندك بالامم الغربية ، فاخذ  
طاداتها وتقاليدها ، وليست هي إلا مجموعة رذائل ، جاء يحملها  
في حقبتها كمدبة خالية الثمن الى هذا الشعب العربي ، فلو  
الحلق العربي بما بذره من سموم التفرقة التي هي امضى  
سلاح الاستعمار .

\* \* \*

إن تأمين سعادة الشعب موقوفة على محبة الوطن قبل كل  
شيء ، بحيث لم يستطع المرء أن يعيش الا لاجله ، وغير مقدرة

له الحياة بعده ، وإذا أقيم القلب بهذه العاطفة الحية الجميلة  
ترام يتدفق بحرارة الايمان بحب الوطن الى الاعمال الكبيرة  
الخالدة لخدمة امته .

إن الانسان لا يقدر ان يمتز بذاته ، مالم يمتز بوطنه ، فإن  
الاعتزاز بالذات فرع الاعتزاز بالوطن ، مضافاً الى ذلك ان  
ايمان المرء لا يكمل مالم يحب وطنه ، وقد جاء في الحديث  
( حب الوطن من الايمان ) وما ذلك الا إن الله كما أراد العزة  
لنفسه فقد أرادها لرسوله وللمؤمنين وذلك صريح قوله  
( والله العزة لرسوله وللمؤمنين ) ولما كان الاعتزاز بالذات  
لا يحصل إلا بعد الاعتزاز بالوطن ، جعل حب الوطن جزء  
من الايمان ، ولما ادر كثر رجالات الاسلام قيمة تلك العاطفة  
وجمال تلك الفضيلة ، اعتبروا الجزيرة العربية كلها وطناً لهم ،  
واحلوها في الصميم من قلوبهم محبة واعظاماً ، فقاتلوا بدافع  
محبة الوطن عن حريتها ؛ حتى انتقذوها من سيطرة الاكسرة  
وسيطرة الفياصرة ، ولولا الوحدة الشاملة وحدة اللغة والدم  
الذي لم يلوث بجراثيم الفئك ، وتقاليد الغرب ، لما احلوا  
تلك العاطفة السامية في السويدي من قلوبهم ، فجاهدوا  
ليحرروا نفوسهم من كل قيد سوى الاخلاق ، وبغادروا هذه  
الحياة احراراً كراماً كما عاشوا .

إن حب الوطن فضيلة قائمة بنفسها ، ولن تأخذ محلها  
الا في القلب الذي نبث ارومته فيه ، وتغذى من تربته ،  
وارتوى بمائه ، وقد برهنت الظروف التي تمخض بها منذ  
تأسيس الحكم الوطني ، وحتى اليوم على اخلاص آناس وخيانة  
آخرين ، فكانت كحجر الصيرفي ، أو بودقة الصائغ ؛ تميز  
الذهب من النحاس والفضة من القصدير ، فالدم العربي بأني  
الحياة لشعبه ، لأنها خيانة لنفسه ، لا أقل هفوة اذا اختلى  
في وحدته بمخجل من نفسه ، فيحاسبها دقيقتاً على تلك الهفوة  
التي يخشى أن يابس ثوب العار من ورائها ، أما الذين اخلصوا  
لعاجل الذات والشهوات بثوب الوطنية ، فإن اخلاصهم هذا خير  
شاهد ناطق بافصح اساناف ، بنبيك أن علاقتهم بالشعب علاقة  
السواد من البياض ، اذ لو كان الدم الذي يجري في عروقهم  
دماً عربياً ، لكنت اهم ضماير تؤنبهم لاقل هفوة ، وتخزيم